28

الدّيمُقـرَاطِيّـةُ أَوّلاً

تمهيد: نَظَرَ عَدِيدُ المفكّرِينَ فِي البُلْدَانِ العَرَبِيّةِ والإسْلاَمِيّةِ فِي مَا تُعَانِيهِ بُلْدَانُهُمْ فِي العَصْرِ الحَاضِرِ مِنَ المَشَاكِلِ وَالأزَمَاتِ فِي المَجَالاَتِ الاجْتِمَاعِيّةِ والاقْتِصَادِيّةِ وَالسّيَاسِيّةِ... واقْتَرَحُوا حُلُولاً تَبَايَنَتْ فِي مَرْجِعيّاتِهَا ورُؤَاها السّيَاسِيّةِ والاقْتِصَادِيّةِ والدّينِيّةِ واتّفَقَتْ فِي ضَرُورَةِ اعْتِمَادِ الدّيمُقرَاطِيّةِ أَسَاسًا لِكُلّ إِصْلاَحٍ.

1 مِـنَ الظّوَاهِرِ البَارِزَةِ التِـي تُمَيّزُ الوَضْعَ العَرَبِيّ الرّاهِنَ التّبَاعُدُ الّذي يَصِـلُ حُدُودَ القَطِيعَةِ بَيْنَ القَـوْلِ وَالفِعْلِ، بَيْنَ الخَيَالِ والوَاقِعِ، بَيْنَ الفَرْدِ والمُؤَسّسَـةِ، بَيْنَ الدّوْلَةِ والمُوَاطِنِ... هَـذِهِ الظّاهِرَةُ البَارِزَةُ لَمْ تُولَدْ فَجْـأَةً أَوْ مِنْ فَرَاغٍ، إِنّهَا مُحَصّلَةٌ 5 لِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الأَسْبَابِ سَـبَقَتْهَا، بِحَيْثُ أَنّا الآنَ نُوَاجِهُ حَالَةً مُرَكّبَـةً ومُحَيّـرَةً، وَمُرْبِكَةً فِي الوَقْتِ نَفْسِـهِ... وَقَدْ أَدّى ذلِكَ كُلّـهُ إِلَى حَالَةٍ مِنَ اليَأْسِ والمَرَارَةِ والغَـرَقِ فِي الضّيَاعِ والحَيْرَةِ، وتَرَافَقَ أَيْضًا مَعَ إِلْقَاءِ المَسْؤولِيّةِ عَلَى الآخَرِ.

إِزَاءَ وَضْعٍ مِثْلِ هَذَا، مَلِيءٍ بِالتّعْقِيدِ والخَيْبَةِ والضّيَاعِ، كَيْفَ نَفْتَرِضُ أَوْ كَيْفَ 10 نَتَصَوّرُ البِدَايَةَ أَوْ الحَلّ؟ نَفْتَرِضُ، بِدَايَةً، أَنّ الحِوَارَ، والحِوارَ بِالذّاتِ، الخُطْوَةَ الأُولَى عَلَى هَذَا الطّرِيقِ الوَعْرِ، والحِوَارُ هُنَا يَعْنِي الإِقْرَارَ بِثَلاَثِ مُسَلّمَاتٍ جَوْهَرِيّةٍ:

الأولَـى: الاعْتِرافُ بِالآخَـرِ، الاعْتِرَافُ الفِعْلِيّ والوَاقِعِيّ، ولَيْسَ الشّـكْلِيّ. وهَذَا الاعتِرَافُ يَعْنِي أَنّ الآخَرَ جُزْءٌ مِنَ البِنْيَةِ الّتي تُشَكّلُ المُجْتَمَعَ، مِمّا يَقْضِي التّعَايُشَ والتّعَامُلَ مَعَهُ...

15 الثّانِيةُ: لَيْسَـتْ الحَقِيقَةُ كُتْلَةً صَلْبَةً يَحْتَكِرُهَا طَرَفٌ وَاحِدٌ، وإِنّمَا هِيَ نِسْـبِيّةٌ ومُوَزّعَـةٌ، وَبِدَايَةُ اكْتِشَـافِهَا، أَوْ الوُصُـولِ إِلَيْهَا لاَ تَكُونُ إِلاّ بِمُحَـاوَرَةِ الآخَرِ وفَهْمِهِ، تَمْهِيدًا لِلْوُصُولِ مَعَهُ إِلَى الحَقِيقَةِ الفِعْلِيّةِ...

الثّالِثَـةُ: أَنْ يَكُونَ الاعْتِـرَافُ والحِوَارُ فِي جَوّ مِـنَ التّكَافُؤِ والاعْتِـرَافِ المُتَبَادَلِ، وَمُسْتَنِدًا إِلَى الاحتِرَامِ والرّغْبَةِ فِي التّعَاوُنِ، تَمْهِيدًا لِلوُصُولِ إِلَى مَا تَتَطَلّبُهُ المَرْحَلَةُ.

20 هَذَا الحِوَارُ المُفْتَرَضُ، والّذي يَجِبُ أَنْ يَجْرِيَ عَلَى كُلّ المُسْتَوَيَاتِ، وَيَتَنَاوَلُ جَمِيعَ

القَضَايَــا وَبَيْنَ جَمِيــعِ القُوَى وَالعَنَاصِرِ، يَرْتَكِزُ أَسَاسًــا وَجَوْهَرِيّا إِلَى حَقِيقَةٍ كُبْرَى يَنْطَلِقُ مِنْهَا، وَيَجِبُ أَنْ تُوَجّهَهُ دَائِمًا هِيَ: الدّيمُقرَاطِيّةُ...

صَحِيحٌ أنّ الدّيمُقرَاطِيّةَ لَيْسَتْ مَطْلَبًا سَهْلاً، أَوْ يُمْكِنُ تَحْقِيقُهَا بَيْنَ يَوْم وَآخَرَ، كَمَا أنّهَا بِذَاتِهَا لَيْسَتْ حَلاّ كَامِلاً وإنّمَا هِيَ المَنَاخُ وَبِدَايَةُ الوُصُولِ إلى الحُلُولِ، وَمَعَ ذَلِكَ عَلَيْنَا أنْ نَعْتَرِفَ، ومُنْذُ البِدَايَةِ، بِأنّ لَهَا أعْدَاءً كَثِيرِينَ فِي الدّاخِلِ والخَارِجِ، لَكِنّ أَخْطَرَ مَا يُوَاجِهُهَا أنّ الكَثِيرِين مِمّنْ يُنَادُونَ بِهَا غَيْرُ مُقْتَنِعِينَ بِهَا بِمَا فِيهِ الكِفَايَةُ، أوْ أنّهُمْ إذَا اقْتَنَعُوا بِهَا نَظَرِيّا فإنّهُمْ لاَ يُمَارِسُونَهَا، أَوْ يُمَارِسُونَهَا بِشَكلٍ خَاطِئٍ، كَمَا أنّهُمْ مُسْتَعِدّونَ للتّسَاهُلِ كَثِيرًا بِمَفْهُومِهَا وَحُدُودِهَا حِينَ تَعْنِي الآخَرِينَ، وَهَذَا التّسَاهُلُ فِي الفَهْمِ والمَمَارَسَةِ أَحَدُ أَهَمّ الأَسْبَابِ الّذي شَجّعَ الحُكّام على حِرْمَانِ الْجَمَاهِيرِ مِنْهَا.

25

عبد الرّحمان منيف، الدّيمقراطيّة أوّلا... الدّيمقراطيّة دائما،
المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، ط.1، 1992، ص ص 22-24

تعريفات

الأعــلام

المؤلّــف: عبد الرّحمان منيــف: (1933 - 2004) ولد بعمّان وتوفّي بدمشــق، درس الحقــوق والاقتصــاد. عمــل بوظائف مختلفــة بكلّ من ســوريا والعــراق ولبنان. حاز علــى جائزة القاهــرة للإبــداع الرّوائيّ عــام 1998. وكان آخر كتاب لــه يحمل عنوان «العــراق - هوامــش من التّاريــخ والمقاومــة» صدر عــام 2003. من مؤلّفاته: «شــرق المتوسّــط»، وخماســيّة «مدن الملــح». وله مؤلّفات في فــنّ الرّواية، وأخــرى في الاقتصاد والسّياســة أبرزها «تأميم البترول العربيّ»، و«الدّيمقراطيّــة أوّلا.. الدّيمقراطيّة دائما».

الفهم والتّحليل

1 - عرض الكاتب ظاهرة الدّيمقراطيّة في المجتمع العربيّ من حيث دواعيها ومصاعبها، قسّمْ النّصّ إلى مقاطع تبرز هذا التّمشّيَ في التّفكير.

2 - عَمدَ الكاتب في حجاجه إلى تقسيم القضيّة إلى عناصر فرعيّة تمهيدا لتحليلها والتّعليق عليها. حدّدْ الأدوات الّتي مكّنته من ذلك وبيّنْ مساهمتها في توجيه القارئ إلى النّتيجة.

3 - يــرى عبــد الرّحمان منيف أنّ الحوار يســتوجب الإقرار بعدد من المســلّمات. استخرجها وحلّلها.

4 - من هم أخطر أعداء الدّيمقراطيّة عند عبد الرّحمان منيف؟ ولم؟

التّفكير وإبداء الرّأي

هل توافق على أنّ سوء فهم الدّيمقراطيّة أو سوء التّصرّف فيها مشجّع للحكّام على حرمان الجماهير منها ؟ ادعمْ موقفك بأدلّة من الواقع.

إنتاج كتابيّ

1 - حرّرْ فقرة من خمســةَ عشــرَ ســطرا تحلّل فيهــا الرّأي القائل بأنّ الشّــعوب المحرومة من الدّيمقراطيّة ليســت مجرّد ضحيّة، ولكنّها تتحمّل قســطا من مسؤوليّة هذا الحرمان.

2 - توسّع في رأي عبد الرّحمان منيف «التّسَاهُلُ في الفَهْم والمَمَارَسَةِ أَحَدُ أَهَمّ الأَسْبَاب الّذي شَجّعَ الحُكّام على حِرْمَانِ الجَمَاهيرِ مِنْهَا» في فقرة لا تتجاوز خمسةَ عشرَ سطرا.

نافذة لغويّة

العـددُ الرّتْبِـيّ

1 - والحِوَارُ هُنَا يَعْنِي الإقْرَارَ بِثَلاَثِ مُسَلّمَاتٍ جَوْهَرِيّةٍ: الأولَى... الثّانِيَةُ... الثّالِثَةُ...:

لفظ ثَلاَث يبيّن عدد المسلّمات، ولكنّه لا يُمكّن الكاتب من تحديد محتوى هذه الأجزاء.
والألفاظ الثّلاثة التّالية: الأولَى والثّانِيَةُ والثّالِثَةُ تُمكّن أوّلا من ترتيب هذه المسـّلمات وثانيا من تقديم مجموعة من التّفاصيل تسـهّل على الكاتب تحليل فكرته وتفسـيرها تمهيدا لتوضيحها للمتقبّل واستدراجه لمشاركته فيها.
العدد الرّتبيّ يستعمل في النّصّ التّفسـيريّ لتقديم التّفاصيل والتّعريف، وفي النّصّ الحجاجيّ لتقسيم المشكل أو القضيّة تمهيدا لتحليلها ولتوجيه القارئ إلى النّتيجة الّتي يروم إيصاله إلى قبولها أو التّسليم بها.

أكمـلْ الجملتيْن التّاليتيْن واسـتعملْ عـددا رتبيّا مصحوبا بتفاصيل تسـاعد على التّفسير:
عَرَفَ العَالَمُ حَرْبَيْنِ عَالَمِيّتَيْنِ، الأولَى هِيَ.....

إغناء

1 الدّيمقْراطيّـةُ

لفظ أصله يونانيّ وهو مركّب من **Démos** «الشّعب» و **Cratos** «الحُكم».

- الدّيمقراطيّـة ضرب من التّنظيم السّياسـيّ يكون الشّـعْب في إطاره - دون تمييز مبنيّ على الأصل أو الثّروة أو الكفاءة... - الممسك بالسّلطة السّياسيّة، أو المراقب لها.
- وهي شكل من الحكم يكون فيه الشّعب سيّد نفسه.
- يمكن التّمييز بين الدّيمقراطيّة المباشرة كما كان الحال في «أثينا» في القرن الخامس قبل الميـلاد، والدّيمقراطيّة التّمثيليّة، حيث يمارس الشّـعب سـلطته عبر ممثّليه المنتخبين أو المعيّنين، كما هو الحال في الدّيمقراطيّات البرلمانيّة الحديثة.

- يحيـــل لفـــظ الدّيمقراطيّة على نظريّة في السّـــيادة تجعل من قدرة الإنســـان على التّحكّم في نفسه الأساس الّذي تنبني عليه السّلطة السّياسيّة.
- الدّيمقراطيّة تجســـيم للمبدإ القائل بأنّ السّـــلطة الشّـــرعيّة الوحيدة هي ســـلطة الشّعب الّذي يشرّع القوانين ويطيعها إراديّا.
- تفترض الدّيمقراطيّة: قانون الأغلبيّة، وحرّيّة الأفراد، والمســـاواة بين المواطنين وحقوق الإنسان.

وقد اختزل اللّيبراليّون المساواة في تساوي الحقوق (أو ما يسمّى بالعدالة إزاء القانون) في حين حرص الاشتراكيّون على توسيعها لتشمل تساوي الظّروف الاجتماعيّة والعدالة الاجتماعيّـــة، وعليـــه يمكن التّمييز بين ديمقراطيّة سياســـيّة تحـــترم الحرّيّات المدنيّة والسّياســـيّة مثلَ حرّيّة التّعبير وحرّيّـــة الصّحافة... وديمقراطيّـــة اقتصاديّة واجتماعيّة تضمن حقوقا اجتماعيّة مثل حقّ الشّغل، وحقّ السّكن...

2 حَتمِيّةُ الدّيمقراطيّـةِ

الدّيمقراطيّة هي نظام يستطيع المجتمع، في كلّ مستوًى من مستوياته، أنْ يشارك من خلاله في عمليّة اتّخاذ القرار وممارســـة الرّقابة عليها. ذلك أنّ الأســـاس الّذي تقوم عليه الدّيمقراطيّة هو الاحترام الكامل لحقوق الإنسان على النّحو الّذي تمّ التّعريف به في الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان، وفي العهدين الدّوليّن الخاصّيْن بحقوق الإنسان وفي إعلان فيينّا لعام 1993... يمكن إجمالا تعريف الدّيمقراطيّة بأنّها نظام سياســـيّ يسعه أن يصلـــح بذاته ما يطرأ فيـــه من خلل وظيفيّ. بيد أنّ الدّيمقراطيّة الحقّة لا يمكن أن تنحصر في هذا الإطار المؤسّســـي وحده، بل يجب أن تتجسّد أيضًا في ثقافة، وفي تكوين ذهنيّ يعزّز التّسامح واحترام الآخر والتّعدّديّة والتّوازن.

غالي شكري، التّفاعل بين الدّيمقراطيّة والتّنمية، نشر منظّمة اليونسكو، 7 ساحة فونتناي، باريس، 2003، ص 7

3 مقْتطَفَاتٌ مِنَ الإِعْلاَنِ العَالَميّ لحُقُوقِ الإِنْسَانِ المُؤَرّخِ فِي 10 ديسمبر 1948

المَادّةُ 1: يولد جميع النّاس أحرارا متســاوين في الكرامة والحقوق، وقد وُهِبوا عقلا وضميرا، وعليهم أن يعامل بعضهم بعضا بروح الإخاء.

المَادّةُ 2: لكلّ إنســان حــقّ التّمتّع بكافّة الحقوق والحرّيّــات الواردة في هذا الإعلان دون أيّ تمييز...

المَادّةُ 4: لا يجوز استرقاق أو استعباد أيّ شخص، ويحظر الاسترقاق وتجارة الرّقيق بكافّة أوضاعهما.

المَــادّةُ 7: كلّ النّاس سواســية أمام القانون، ولهم الحــقّ في التّمتّع بحماية متكافئة عنه دون أيّة تفرقة، كما أنّ لهم جميعا الحقّ في حماية متســاوية ضدّ أيّ تمييز يخلّ بهذا الإعلان وضدّ أيّ تحريض...

المادّةُ 19: لكلّ شــخص الحقّ في حرّيّة الرّأي والتّعبير، ويشــمل هذا الحقّ حرّيّة اعتناق الآراء دون أيّ تدخّل، واســتقاء الأنباء والأفكار وتلقّيها وإذاعتها بأيّة وسيلة كانت دون تقيّد بالحدود الجغرافيّة.

المادّة 26: (1) لكلّ شخص الحقّ في التّعلّم... (2) يجب أن تهدف التّربية إلى إنماء شــخصيّة الإنســان إنماء كاملا، وإلى تعزيز احترام الإنسان والحرّيّات الأساسيّة وتنمية التّفاهم والتّسامح والصّداقة بين جميع الشّعوب والجماعات العنصريّة أو الدّينيّة، وإلى زيادة مجهود الأمم المتّحدة لحفظ السّلام. (3) للآباء الحقّ الأوّل في اختيار نوع تربية أولادهم.

المادّة 27: (1) لكلّ فرد الحقّ في أن يشــترك اشــتراكا حرّا في حياة المجتمع الثّقــافيّ وفي الاســتمتاع بالفنون والمســاهمة في التّقدّم العلميّ والاســتفادة من نتائجه. (2) لكلّ فرد الحقّ في حماية المصالح الأدبيّة والماديَة المترتّبة على إنتاجه العلميّ أو الأدبيّ أو الفنّيّ.

الحُججُ وأنواعُها